

## المنصف الفخفاخ كما عرفته

الدكتور عبد الجليل التميمي  
أستاذ متميز بالجامعة التونسية  
مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس

كنت أدرّس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس المعروفة باسم كلية 9 أفريل، عندما لفت نظري طالب دكتوراه هو المنصف الفخفاخ، فقد كان ذكيا ولبقا وواعيا بكل ما يجري حوله، فسألته عن موضوع اهتمامه البحثي، فقال لي إنه شرع في إعداد أطروحة دكتوراه حول تاريخ الحركة الوطنية، فقلت له بأن هناك العشرات من زملائه يفكرون في نفس الشيء، ونصحته بأن يترك موضوع الأطروحة جانبا وأن يتخصص في علم الأرشيف الذي أخذ أبعادا جديدة على مستوى دولي؛ وهذا ما وقع بالفعل، فقام بالتسجيل معي لإعداد دكتوراه حول أرصدة الدفاتر بالأرشيف الوطني التونسي. وكانت حواراتي معه عميقة، وأدركت ما لديه من كفاءة وقدرة على الاستيعاب والاستشراف.

عندما توليت إدارة المعهد العالي للتوثيق، وجهته إلى باريس للمشاركة في برنامج تدريبي عالمي للأرشيف دام ثلاثة أشهر وأشرف عليه خبراء فرنسيون، وقد استطاع خلاله أن يستوعب ويواكب تطورات علم الأرشيف، كما سنحت له الفرصة لزيارة عشرات المراكز الأرشيفية؛ وعندما عاد إلى تونس وجدته قد استوعب تماما أساسيات علم الأرشيف وقضاياها. وما لبث أن عُيّن مديرا للأرشيف الوطني التونسي. وفي أحد حواراتي معه أشرت إلى ضرورة أن نبني مقرا للأرشيف يتناسب مع ما لدينا من تراث نخشى عليه من الضياع بسبب سوء الحفظ.

وقد سبق لي أن أثرت موضوع مبنى الأرشيف منذ السنوات 1970 مع الوزير الأول السيد الهادي نويرة، إلا أنه اعتذر بعدم توفر الإمكانيات المالية التي كانت تُقدّر آنذاك بحوالي عشرة ملايين دولار. إلا أنه فيما بعد، أُتيحت لي فرصة السفر إلى إستانبول لحضور مؤتمر رفقة الصديق مصطفى كمال النابلي وزير التخطيط آنذاك، وقد اطلع على الأرشيف العثماني الذي يحتوي على حوالي 150 مليون وثيقة، وعندما طرحت عليه موضوع إقامة مبنى للأرشيف الوطني، طلب مني أن أقدم له مشروعا، وهو ما عكف عليه المنصف الفخفاخ مدة أسبوعين، وقدمنا المشروع إلى سي مصطفى كمال النابلي الذي عرض إنجازَه على الصينيين، فلم يمر إلا أسبوعان اثنان حتى أعربوا عن استعدادهم لإقامته كاملا على كاهلهم، إلا أنه في آخر تم الأمر مناصفة بينهم وبين بلادنا، وهكذا بُنيت هذه البناية الرائعة والفريدة من نوعها على امتداد البلاد العربية.

المنصف الفخفاخ كان أيضا وراء إقامة بناية الأرشيف بسلطنة عمان، كما كان وراء إنشاء بناية الأرشيف بإمارة الشارقة.

لقد قام المنصف الفخفاخ بدور هام في دعم المنظومة الأرشفية ببلادنا بوضع قوانين جديدة كان هو مهندسها، وكان واعيا ومدركا وفاعلا بحكم دوره في منظمات دولية كخبير دولي وكانت له القدرة على الاستشراف.

إلى جانب وضع التشريعات لتنظيم والحفاظ على الأرشفة الوطني، كان أستاذا بالمعهد العالي للتوثيق حيث تكوّن على يديه جيل جديد من الأرشفيين، ويعود الفضل إليه في ارتفاع عدد موظفي الأرشفة الوطني من 9 إلى أكثر من 450. وأعتقد أن المدير الحالي للأرشفة الوطني د. الهادي جلاب سيواصل رسالته، ولاشك فالأرشفة الوطني هو المؤمن الوحيد للحفاظ على الذاكرة الوطنية، وإنني مطمئن تماما إلى الجيل الجديد من المختصين في الأرشفة، وعلى الدولة أن تلتفت إلى أهمية ما لدينا من كنوز، وكان على المسؤولين أن يدركوا أهمية الخبرة التي كان يتمتع بها المنصف الفخفاخ.

إننا لله وإنا إليه راجعون.